

SIATS Journals

Journal of manuscripts & libraries Specialized Research

(JMLSR)

Journal home page: http: //www.siats.co.uk



مجلَّة المخطوطات والمكتبات للأبحاث التَّخصصيَّة

المجلد1 ، العدد 2، أيار ، مايو 2017م.

e-ISSN: 2550-1887

PROBLEMS OF THE ISLAMIC MANUSCRIPT SERVICE IN AFRICA SUDAN MODEL

مشكلات خدمة المخطوط الإسلامي بإفريقيا ـ السودان نموذجاً

(الجمع، الحفظ، التحقيق).

الدكتور: عبد الله الأمين حامـــــد الأمين.

كلية الشريعـــة والقـــانون/ جامعة أم درمان الإســلامية.

الأمين العام للمركز العالمي لإحياء التراث الإسلامي.

a.alameen62@gmail.com

1438هـ – 2017م



ARTICLE INFO

Article history:
Received 2/10/2016
Received in revised form 9/11/2016
Accepted 8/3/2017
Available online 15/5/2017
Keywords:
Insert keywords for your paper

ABSTRACT

This study aims at highlighting the suffering of a large sector in the Islamic world, namely in Africa which owns a huge stock of manuscripts, as this continent is full of unprocessed manuscripts that wait for search and compiling, saving them in a secure place, and investigating them and publishing. This triplex problem is the aim of this study.

The study tackles the problems that encounter serving of African manuscripts in general, and the Sudanese in particular, where Sudan represents a cultural and locational denominator for most of African states, due to its geographical location, ethnic multiplicity, historical extensions, and security, economic and developmental conditions.

Need to present the problems of serving African manuscripts to scholars and experts still exits, with the hope that these problems will find adequate attention as they had found adequate negligence.

The study, after its organizational introduction and preface, comprises three sections. The first section treats the compiling of manuscripts, whereas the second approaches the suitable saving of manuscripts, and the third tackles investigation of manuscripts. The conclusion involves the most important findings and recommendations.



الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على معاناة قطاع كبير من العالم الإسلامي ممثلاً في قارة أفريقيا ذات المخزون الهائل من المخطوطات، حيث تزخر هذه القارة بالمخطوطات الإسلامية غير المخدومة، والتي تنتظر الكشف عنها وجمعها، ثم الحفظ المناسب والآمن لها، ثم تحقيقها ونشرها، وهذه الثلاثية هي المشكلة التي ترمي الدراسة لبحثها.

تتوخى هذه الدراسة الوقوف على المشكلات التي تلازم خدمة المخطوط في أفريقيا بصفة عامة، ونموذج الدراسة (السودان) بصفة خاصة، حيث تمثل السودان مشتركاً ثقافياً، وظرفياً، لأكثر الدول الإفريقية، نظراً لموقعه، وتعدد إثنياته، وامتداده التاريخي، وظروفه الأمنية، والاقتصادية، والتنموية، والحاجة قائمة لعرض مشكلات خدمة المخطوط الأفريقي على أصحاب الهمّ والهمّة من أهل الخبرة في هذا المجال، من علماء هذه الأمة، لعل جهودهم وعزائمهم توليها حظاً وافراً من العناية؛ كما نالت حظها الكافي من الإهمال.

تشتمل هذه الدراسة بعد المقدمة المنهجية والتمهيد، على ثلاثة مباحث، يعالج المبحث الأول قضية جمع المخطوطات من مظانها، بينما خصص المبحث الثاني في مسألة الحفظ السليم والمناسب للمخطوط، أما المبحث الثالث فيدرس ممارسة تحقيق المخطوط، وخاتمة الدراسة تتضمن أهم نتائجها وتوصياتها.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم.

والصلاة والسلام علي معلم البشرية، محمد بن عبدالله، المرسل إلي كافة الخلق أجمعين.

أما بعد: فتهدف هذه الدراسة المختصرة إلي المشاركة في إلقاء حصاة في بركة راكدة وأن توقظ حساً وهماً نائماً يتعلّق بالمخزون التراثي الإفريقي للشعوب السودانية (بالمعنى التاريخي الممتد) لخدمة هذه الجهود التي تتوارى وراء الجدران والكهوف، محبوسة حتى عن النظر إليها، والتي نسأل الله أن يقيض لها من ينفض عنها الغبار، ويفض للناس أبكار علومها.

إن غاية الأمر في خدمة المخطوط أن يخرج للناس محقَقَاً في ثوب جديد، وعمر متجدد للنص، تقرأه الأجيال.

سبب اختيار الدراسة: لقد شكّل موضوع هذه الدراسة همًا كبيراً؛ ذلك لأنه قل من يتعرض له، ويعرضه بين يدي العلماء بغية دراسته واستثمار معارفه.

وحيث كان ظَنُ الكثيرين أنّ أفريقيا ليست موطناً من مواطن العلم، أو المعرفة، وعتقدوا أن العلم محصور في مهبط الرسل والأنبياء فقط. كان لابد من بيان أنّ مدد الأنبياء والعلوم لم تقتصر على أرض منابعها؛ بل امتد أيضاً حتى إلى أدغال إفريقيا القصية؛ فظهر بها علماء، كتبوا فيها علماً زاخراً واسعاً، ولم يجدوا لنشره منفذا، ولعل الله يجعل من هذه الدراسة تنبيهاً، ولو بصوت خفي؛ إلي الذين يفطنون للأصوات الخفيّة مهما خفيت، بأنْ هنا كنز!

أهمية الدراسة: لقد آن الأوان لموضوع هذه الدراسة أن يدرس، بل كاد أن يفوت أوانه، لما يفقد من هذا المخزون باستمرار، بسبب الجهل بأهميته، والإغفال عنه، ثم العوامل الطبيعية من أمطار ورياح وفيضانات، وكذلك الحروب، ثم عدم الإمكانيات المادية.

مشكلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في الكشف عن كنز المخطوطات في أفريقيا، هذه الموءودة ظلماً لها، وجهلاً بما فيها، ثم الرغبة في عرضها على ذوي الاختصاص لخدمتها بالتحقيق والنشر، مساهمة في خدمة التراث الإسلامي العظيم.



هدف الدراسة : تهدف الدراسة إلى تنبيه أهل الاختصاص، والمساعدة على كشف وإخراج المخزون غير المخدوم، والعمل على تسهيل مهمة الباحثين، لتحقيق هذا الكم النوعي من المخطوطات ونشرها، نشراً للعلوم الإسلامية الغزيرة، نفعاً لأهل الأرض أجمعين.

مصطلحات الدراسة: تسهيلاً لمهمة القارئ لفهم المصطلحات، كان لابد من تعريف أهم مصطلحات الدراسة وذلك على النحو التالي:

أولاً:المخطوط: جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة:{مخطوط [مفرد] و[جمعه] مخطوطات،و[مؤنثه] مخطوطة، و[جمع مؤنثه] مخطوطات.

1 – اسم مفعول من خطَّ/ خطَّ على/ خطَّ في.

2 – كتاب أو نصّ مكتوب باليد لما يُطبع بعد}. وفيه: { مَخْطوط، كتاب أو وثيقة أو نصّ مكتوب باليد لما يطبع بعد }[1]. ويعتبر مصطلح [مخطوط] من المصطلحات الحديثة.

ثانياً: التحقيق: في اللغة من التحقق، أو الوصول إلى الحقيقة، والتيقن من ثبوته،.

جاء في المعجم الوسيط:{(الْحَقِيقَة) الشَّيْء الثَّابِت يَقِينا و (عِنْد اللغويين) مَا اسْتعْمل فِي مَعْنَاهُ الْأَصْلِيّ وَحَقِيقَة الشَّيْء خالصة وكنهه وَحَقِيقَة الْأَمر يَقِين شَأْنه}[2].

أما التحقيق كمصطلح، فلم يعرف قديماً، وقد عرفه بعض المحدثين. وفي ذلك يقول الدكتور عبد الستار الحلوجي:{...والتحقيق في استخدامنا العادي هو البحث بهدف الوصول إلى الحقيقة. وإذن فتحقيق الكتب هي إصدارها على حقيقتها، أو بعبارة أخرى إصدارها على الصورة التي أرادها لها مؤلفوها}[3]. وفي معرض حديثه عن تعريف

(1) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل،معجم اللغة العربية المعاصرة (1/ 665)، خ ط ط : 1646 – خ ط ط ، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 4 (3 ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد.

(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، المعجم الوسيط الناشر: دار الدعوة، (1/ 188).

(3) د. عبد الستار الحلوجي، محاضرة بمعهد المخطوطات. القاهرة 2012م ص 1.



التحقيق، يقول نقلاً عن المحقق [عبد السلام هارون] يقول:{الكتاب المحقق بأنه (الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه)}[4].

ويقول الدكتور المحقق فيصل الحفيان[5] معقباً على الدكتور الحلوجي:{ إن الكلام عن صحة العنوان، وعن اسم المؤلف، وعن نسب الكتاب للمؤلف قد انتهى، وأصبح الكلام عن أن يكون التحقيق هو قرب النص إلى مراد المؤلف}[6].

الدراسات السابقة: لاتوجد دراسة مفردة لهذا الموضوع، ولكن كثيراً ما تُعرّض له من خلال دراسات في مجال خدمة المخطوط، تورد الدراسة بعضاً من هذه الدراسات، وذلك على النحو التالي:

دراسة رقم (1) للأستاذة/ صالحة محمد محمد علي ـ أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في المكتبات، في معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي ـ قسم الدراسات النظرية ـ جامعة أم درمان الإسلامية، تحت عنوان (الكتاب العربي المخطوط بالتركيز على واقع خدمات المخطوطات في السودان)، 1424هـ ـ 2003م.

تناولت الدراسة الموضوع في مقدمة منهجية، وأربعة فصول، وخاتمة. تعرضت في الفصل الأول والثاني، إلى الجانب الفني لخدمة المخطوط، وفي الفصل الثالث تعرضت لواقع مشكلات المخطوط في السودان، وفيها وقفت الدراسة على جهود بعض الجهات المتخصصة في خدمة المخطوط في السودان، وذلك في ثلاثة مباحث، وفي المبحث الرابع والأخير تعرضت لمشكلات خدمة المخطوط في السودان ـ موضوع دراستنا ـ ولكن بصورة مقتضبة، كجزء محدد من دراستها.

خلصت الدراسة في خاتمتها إلى النتائج التي حصلت عليها الدراسة، وقد أظهرت النتائج عن وجود مخطوطات لم يكشف عنها، وكذلك عدم وجود جهة مختصة متفردة لخدمة المخطوط، ثم ضعف الإمكانيات المادية لتقديم الخدمة اللائقة لها.

أوصت الدراسة بضرورة إجراء مسح شامل، مع ضرورة تفعيل قانون الحماية، والاستعانة بالمنظمات الدولية، والتوصية بتضافر الجهود محلياً وإقليمياً، مع العناية بالاهتمام بتدريس علم المخطوط في المؤسسات العلمية، مع التوصية أيضاً

(4) المرجع السابق، (الحلوجى) نفس الصفحة.

(5) فيصل الحفيان مدير معهد المخطوطات بالقاهرة.

(6) فيصل الحفيان ،محاضراته في الدورات التدريبية بالمعهد.



بزيادة الميزانيات لخدمة المخطوط، وكذلك التنسيق مع المؤسسات الدولية المختصة، خاصة مع معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وذلك في مجال تبادل الخبرات والتدريب.

دراسة رقم (2): للأستاذة/ القسيمة حمد بلال حمد ـ أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير في المكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، تحت عنوان: (المخطوطات العربية ومعالجاتها الفنية ـ دراسة تحليلية لمجموعة محمد نور الحسن ـ المودعة بالمكتبة المركزية في جامعة أم درمان الإسلامية منذ 1951م).

تناولت الدراسة موضوع البحث في أربعة فصول، بعد المقدمة، وفصل خامس عبارة عن فهرس للمجموعة، وخاتمة، مع التركيز علي الجوانب الفنية كما هو عنوان الدراسة، وقد تناولت في الفصل الأول جانب الإطار المنهجي، وفي الفصل الثاني الإطار النظري للدراسة، وفي الفصل الثالث دراسة لشخصية محمد نور الحسن، وفي الفصل الرابع مناقشة تحليل المضمون، وفي الفصل الخامس فهرس لمجموعة مخطوطات مكتبة محمد نور الحسن، وفي الخاتمة وُضعت النتائج والتوصيات.

توصلت الدراسة في أهم نتائجها إلى أن مجموعة محمد نور الحسن رغم أهميتها لم تنل الخدمة الكافية، وذلك من حيث أنها لم تفهرس، ولم تجد الحفظ الجيد، وهناك خطأ في تصنيفها، حيث صنفت بعض الكتب القديمة باعتبارها مخطوطات.

أوصت الدراسة على ضرورة الفهرسة، مع توحيد أساليبها، ثم عمل قاعدة بيانات، وكذلك ضرورة تخصيص ميزانية لشراء المخطوطات، والعمل أيضاً على جمع المخطوطات من الأسر، مع إظهار اسم الأسرة في قسم المجموعات الخاصة، مع ضرورة المحافظة على المخطوطات، وكذلك توفير قاعات مستقلة لها، وأخيراً مما أوصت به الدراسة توفير وسائل الأمن والسلامة للمخطوط.

دراسة رقم (3) للدكتور/ معتصم الحاج عوض الكريم محمد ـ بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في علم المكتبات والمعلومات ـ كلية الآداب ـ جامعة أم درمان الإسلامية، بعنوان : وثائق الغبش بولاية نهر النيل بالسودان: دراسة ديبلوماتيكية.

تناولت الدراسة الموضوع في خمسة فصول، الفصل الأول مقدمة منهجية، والفصل الثاني: في علم الديبلوماتيك ودراسة الوثيقة السودانية، وفي الفصل الثالث: السودان (الشرقي) في مصادر الدراسات التاريخية، وفي الفصل الرابع: البيوتات



الدينية والتراث السوداني المخطوط، وفي الفصل الخامس: مجموعات وثائق الغبش، دراسة ديبلوماتيكية. ثم خاتمة ، ونتائج ، وتوصيات.

منهج الدراسة : المنهج الوصفي والتحليلي، حيث يتم فيها عرض المسألة، ثم الوقوف على ما بها من مشكلات، واقتراح الحلول لها.

خطة الدراسة: الدراسة موضوعةٌ على طريقة الأوراق العلمية المختصرة، تحت عنوان: (مشكلات خدمة المخطوط الإسلامي بإفريقيا ـ السودان نموذجاً ـ (الجمع، الحفظ، التحقيق) وتشتمل الدراسة على هذه المقدمة المنهجية، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

تمهيد:

لقد أصبح علم تحقيق المخطوطات جزءاً أصيلاً من العلوم الشرعية الضرورية، حيث لا غنى عنه، خاصة وأنه علم يمكن أن يوصف بأنه ذو حدين، حيث يمكن أن يُخدم به الدين، أو يُهدم به أيضاً، لما يمثله من أهمية في مجال البحث العلمي بصفة عامة، وفي خدمة العلم الشرعي بصفة خاصة.

معلوم أنّ علم التحقيق أصله إسلامي مولداً ونشأة، حيث يعتبر علم التحقيق، هو الوليد الشرعي لعلم الرواية، وهو من علم من علوم الحديث، ولو أن المستشرقين نسبوا نشأة هذا العلم إلى أنفسهم، واشتغلوا به غرضاً، واجتهدوا فيه بحيادهم وعلميتهم المزعومة، خدمة لدراساتهم في التراث الإسلامي، وذلك بغية دس السم في الدسم، فيما يقدمونه من هذه الدراسات التراثية. ولكن آن الأوان أن ينكشف سرهم، وتبقي القيادة عائدة لأهلها، تحقيقاً وخدمة للتراث الإسلامي النقي. وبحمد الله وتوفيقه الآن يعمل في هذا المجال كثيرٌ من أهل العلم الشرعي، واشتغلوا به همّاً وعلماً. أرجو الله أن يجعل لهم فيها توفيقاً، ثم مواصلةً لا تنقطع أبداً إلى أن يُظهروا به فضل هذا الدين على البشرية جمعاء.

هذه الدراسة مقدمة للسادة العلماء الأفاضل، كي يخوضوا غمار هذا العلم في أفريقيا التي نالت حظها الكافي من الإهمال، وقد اعتبرت الدراسة [السودان] نموذجاً لإفريقيا، حيث إن السودان يعتبر نموذجاً حقيقياً لأفريقيا؛ لما يتمثل فيه من جميع



المشكلات التي تواجه غالب بلاد أفريقيا، من جغرافيتها الواسعة المتفرقة، وبيئياتها الصعبة، وبما فيها من فقر مادي، وتخلف علمي، وحروب طاحنة.

إن ثقافة التحقيق، رغم أهميتها، لم تلج غالب بلاد أفريقيا إلا متأخراً، فقَصَدتْ هذه الدراسة إلقاء هذا الحجر على ذاك البحر الراكد، رجاء التوصل إلى حراكٍ وتنبيهٍ لأهل الهمّ والهمّة، حتى يكون الأمر حراكاً، ثم علماً يستفاد به في كشف وإخراج هذا المخزون الهائل من المخطوطات المخبوءة ظلماً، وجهلاً، وحتى يكون الأمر سهلاً ميسوراً، يقدم للباحثين؛ كي يقوموا بدورهم في خدمة التراث الإسلامي، عرضاً لعطائها الثر، رفعاً لشأن هذه الأمة، وهدىً ونفعاً للبشرية جمعاء، والله ولي ذلك وهو العليم القدير.

المبحث الأول

جمع المخطوط في السودان

يعتبر الجمع أولى خطوات خدمة المخطوط[7]، حيث لا يمكن أن تبدا الخدمة بدون إيجاد المخدوم، ومسألة الجمع تمر بمراحل أو خطوات عدة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: معرفة مظانّ وجود المخطوطات: وهذه المرحلة تتطلب دراية كافية لمعرفة العلم والعلماء، وانتشارهم مكاناً وزماناً، وكذلك معرفة أنواع العلوم التي نمت وانتشرت في تلك الأماكن، وكذلك معرفة اهتمامات علماء ذاك الزمان، أو تلك الأماكن، وذلك كلّه في طريق جمع المخطوط من الأسر التي ورثت تلك المخطوطات، في ظلّ غياب الثقافة المجتمعية لما هو مطلوب لخدمة هذا المخطوط. والجانب الآخر في ذلك، هو المكتبات القديمة، المؤسسية الرسمية منها والفردية، وهذا الجانب أيضاً نال حظا من الإهمال، وعدم الخدمة، وذلك لعدم تمكّن تلك الثقافة التحقيقية، وذلك في بلادٍ كثيرةٍ من بلاد إفريقيا، منها السودان نموذجاً.

(7) د. فيصل الحفيان. محاضرة بعنوان: التحقيق العلمي قضاياه ومشكلاته، مطبوعة للدارسين في دورة تدريبية ص:13.



الدراسة وقفت على حال عدد من مكتبات المؤسسات الأكاديمية في السودان، بغية الوقوف على كمية المخطوطات التي جمعت، وكيفية حفظها، وما تم تحقيقه منها، وقد شملت الدراسة عدداً من مكتبات الجامعات، وكان الظن أن موطن المخطوطات المخدومة هي تلك الجامعات العريقة. وللأسف الشديد فإن هذه الجامعات كلها لا يوجد فيها شيء يذكر، وما وُجد لا يجد أدنى اهتمام، حتى أن بعض العاملين بهذه المكتبات لايعرفون معنى المخطوطات، ويعتقد بعضهم أن الكتاب القديم المهترئ هو المخطوط، ولايحسون بأيّ اهتمام نحوها، فلا يوجد لها فهارس، ولا تنظيم، ولا... , ولا...، ولكن ربما يعزى ذلك إلى عدم التدريب الكافي للعاملين في هذا الحقل، وقلة نشر هذا العلم، أي علم المخطوطات، حتى بين العاملين فيها.

المكتبات التي وقفت عليها الدراسة؛ هي مكتبات عدد من المؤسسات العلمية، والجامعات، وذلك على النحو التالي:

أ/ دار الوثائق القومية السودانية: وتعتبر دار الوثائق أفضل جهة في جمع وحفظ للمخطوطات السودانية؛ لما بذل من جهود فردية من قبل بعض مسؤوليها؛ من تكوين بعض اللجان، وكذلك العمل على سن القوانين التي تعينهم في أداء مهامهم الإدارية. وكذلك ما قام به بعضهم من جهود علمية. فضلاً عما تجده هذه المؤسسة من ميزانيات تعينها على تسيير العمل، والقيام ببعض المهام، وكذلك باعتبارها الجهة الرسمية والمعتمدة عند الدولة، والمناط بها جمع وحفظ جميع الوثائق السودانية، وباعتبار المخطوطة وثيقة من الوثائق. كلّ ذلك مما جعلهم يقومون بأعمال جليلة وجهود جبارة حسب الإمكانيات المتاحة لهم؛ ومن جليل ما قاموا به، قيامهم بالبحوث الحقلية الناجحة، والزيارات التنويرية المؤثرة، وذلك تمديداً لجسور الثقة بينهم وبين مجتمع مالكي أو حائزي المخطوطات، وقد توجت تلك الجهود بجمع كم كبير من المخطوطات، حيث يوجد بها الآن ما لا يقل عن ثلاثة آلاف مخطوطة، حسب إفادة بعض العاملين فيها، وكذلك مما قاموا به عمل فهرسة للوثائق مع أنها لم تفرز بين المخطوطة وبين الوثائق الإدارية، وما قاموا به بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، التابع لجامعة الدول العربية، من عمل فهرس انتقائي خاص بالمخطوطات. وكذلك تم تحقيق بعض المخطوطات بجهود فردية من قبل بعض العاملين فيه، ولا زالت مرة بعد أخرى تظهر جهود فردية، ولكنها لم تحظ بالدعم اللازم من الجهات المعنية، حتى يستمر ويثمر، وتصبح سنةً حسنةً موروثة للأجيال.



ب/ مكتبة السودان ـ جامعة الخرطوم: تعتبر هذه المكتبة هي أغنى مكتبة بعد مكتبة دار الوثائق القومية في السودان، وأكثرها عناية بالحفظ الجيد، إلى حد كبير، ويعتبر نظام الحفظ فيها كحفظ الآثار المتحفية؛ لا يسمح فيه بالإطلاع للباحثين، ولا يقل عدد المخطوطات فيها عن أربعة آلاف ومائة وثمانون مخطوط ـ حسب الإحصائية التي حصلت

عليها الباحثة صالحة محمد محمد على[8] ـ ولكن هذه المكتبة رغم كبر حجمها، وحفظها الجيد، فغالب كتبها غير سودانية، وربما كثير منها مخطوطات أجنبية اللغة، وجزء كبير منها غير مرتب، وربما وجدت بعض المخطوطات مختلطة مع بعضها، كما أنها لا تزال غير مفهرسة حتى الآن، ولم تحظى حتى بالتصوير [المايكروفلم] لتعظيم الفائدة، ولاستمرارية وجود مادتها العلمية لو تلفت أصولها.

إذن هذه المكتبة في حاجة إلي من يخدمها ترتيباً، وتصنيفاً، وفهرسة، ثم تحقيقاً ونشراً.

ج/ مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية: حيث أنّ كثيراً من الناس يظنون أن جامعة أم در مان الإسلامية هي التي لها الحظ الأكبر والأوفر من المخطوطات، باعتبار عراقتها، وباعتبارها جامعة إسلامية متخصصة في العلوم الشرعية، ولكن لم تجد الدراسة في مكتبتها حتى من يدل على شيء منها، ولكن بعد الرجوع إلى بعض الكتابات والبحوث العلمية التي كتبت عن مكتباتها، وذلك باعتبار أن وجود بعضها أصبح تاريخاً يُكتب عنه، حيث لا وجود له في المكتبة، ومنها ما لا يمكن الإطلاع عليها لعدم وجود من يعرف مكانها.

تبين أن المكتبة كانت تحظى بنصيب جيد من المخطوطات، فقد كشفت دراسة الأستاذة صالحة[9]عن وجود عدد سبع وأربعين مخطوطة من المخطوطات الأصلية في شتى مناحي العلوم الشرعية، وعدد مصحفين من المصاحف المخطوط، وعدد ثلاثة عشر مخطوطاً مصوراً[10].

(8) صالحة محمد محمد علي، صاحبة رسالة ماجستير في المكتبات والمعلومات من معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية، ص 60.

(9) سبق ذكرها .

(10) المرجع السابق ـ ص 55ـ 58.



ثم بناءاً علي هذه المعلومات المستفادة من هذه الدراسة، وبالرجوع إلى المكتبة، والبحث فيها، وباستنفار عدد من العاملين فيها، وكذلك بالاستعانة ببعض المسؤولين والمعارف فيها، وقفت الدراسة على قسط يسير منها في أسوأ الحالات حفظاً للمخطوطات، ولا يبدو أن العدد الموجود الآن يصل إلى ذاك العدد المذكور في دراسة الأستاذة صالحة، بل تعتقد هذه الدراسة أنّ دراسة الأستاذة صالحة التي كشفت العدد المتوفر من المخطوطات بالمكتبة قد أعدت قبل ضياع الكثير

من المخطوطات، والشاهد على ذلك؛ أن الباحثة ذكرت تقول:{...إلا أن بعض الجوانب المشرقة في خدمتي الفهرس والتصنيف...}[11]. فلا يوجد الآن شيء من ذلك، لا فهرس ولا تصنيف. بل وربما أعدت الدراسة بعد ضياع الكثير من غير المحصور، وقد تأكد للدراسة أن السبب في هذا التدهور في عملية الحفظ؛ هو عدم التثقيف بأهمية المخطوط، وعدم التدريب الكافي للعاملين بالمكتبة.

د/ مكتبة جامعة أفريقيا العالمية: لا يوجد بها إلا عدد [6] صناديق [فايل بوكس]، تمثل خليطاً من مخطوطات، ومصورات، ومطبوعات للفوديين(نسبة إلى عثمان دان فوديو) فقط، وفيما قد علمت أنها جمعت باجتهادات شخصية من شخص أمين المكتبة آنذاك الدكتور عبد القيوم رئيس قسم المكتبات والمعلومات حالياً، وذلك عن طريق الطلبة الوافدين من نيجريا، ومن منطقة [مايرنو][12] ، [وتلس][13] ، وهي مناطق تجمعات قبيلة الفلاته الذين ينسب إليهم الفوديون.

وهنالك بعض المكتبات الخاصة وبعض المؤسسات الدينية لديها مخطوطات لا يستهان بها، ففي مقابلات سابقة ذكر لي الشيخ الدكتور أحمد إسماعيل البيلي، أنهم في وزارة الشؤون الدينية سابقاً ـ وكان مسؤولاً فيها آنذاك ـ جمعوا كماً هائلاً من المخطوطات في معرض أقاموه إبّان حكم الرئيس جعفر نميري، وفي غالبيتها جمعت بنظام العُهَد، أي التعهد بإرجاعها. وقد ذكرت الأستاذة صالحة في دراستها عدداً من البيوتات الدينية السودانية التى تمتلك المخطوطات، ذكرت

(11) نفس المرجع السابق . ص 59 .

(12) منطقة غربي مدينة سنار- ولاية النيل الأبيض ـ السودان.

(13) منقطقة قريبة من مدينة الضعين حاضرة شمال دافور ـ السودان، (بها نظارة قبيلة الفلاتة).



منها على سبيل المثال مكتبة السادة المجاذيب، ومكتبة الشيخ البشير الريح، كما ذكرت أن مكتبات الأسرة من الصعب زيارتها، كما تصعب معرفة حقائق وجود المخطوطات من عدمها[14]، وقد أورد الدكتور معتصم الحاج عوض الكريم[15]،

في دراسته الخاصة بمخطوطات الغبش قائمةً أشبه بالإنتقائية ـ حسب ما قاله في مقابلات الدراسة ـ فإنه يجزم بوجود أكثر من ذلك بكثير[16].

ثانياً: الوصول إلى المخطوطات، وكشفها: يعتبر الوصول إلي المخطوط مرحلة أو خطوة مهمة، لابد منها؛ وفي ذلك يقول الدكتور فيصل الحفيان :{ ... فإن (النُّسخ) ذات أهمية بالغة في عمل المحقق، وأول ما عليه تجاهها أن يجمعها جميعاً، ولا يتهاون في ذلك.

صحيح أنّ بعضها قد لا يكون ذا بال، ولكن الوصول إلى الحكم بالقيمة أو إسقاط القيمة، لا يكون إلا بعد المعاينة والدرس، فالحكم على الشيء ـ كما يقول المناطقة ـ فرع عن تصوره}[17].

ولكن هذا العمل يحتاج إلى أنّاس من أهل النخوة، والتضحية، وأهل الهم في هذا المجال، ليكونوا قدوة حسنة، لنشر ثقافة خدمة هذا العلم المهم، وكذلك إلى البحث والتفكير الجاد منهم، لوضع الحلول اللازمة، لتذليل تلك الصعاب، والوصول إلى المقصود. وكذلك يحتاج إلى الإمكانات المادية، والصرف على الأسفار، للتحرك، والبحث، وتحفيز الباحثين. ومعلومٌ أن أفريقيا والسودان نموذجاً لها تعتبر من البلدان التي بها مساحات واسعة ومتفرقة، ومناخات مختلفة، وبما فيها من الأدغال؛ ووعورة الطرق، وقلة الطرق المعبدة؛ فهي صعبة الأسفار، والتحرك فيها مكلف، وذلك مما يعوق العمل في هذا المجال، ويجعله صعباً، ومما يجعله محتاجاً إلى عمل جاد من قبل المؤسسات التي تهتم بذلك النوع من العمل؛ وإلاستظل هكذا حتى يفقد منها الأكثر كما فقد الكثير.

(14) راجع في ذلك رسالة الأستاذة صالحة ص63/63/ 64.

(15) معتصم الحاج عوض الكريم، استاذ مساعد في جامعة أفريقيا، صاحب رسالة دكتوراة في علم المكتبات والمعلومات،سبق ذكره.

(16) معتصم الحاج عوض الكريم، رسالة دكتوراة في علم المكتبات والمعلومات، بعنوان:(وثائق الغبش بولاية نهر النيل بالسودان.) ص190

(17) مرجع سبق ذكره ـ فيصل الحفيان، ص 13.



وكذلك ما هو من الصعوبة بمكان الوصول إلى مخطوطات الأسر أو الاطلاع عليها باعتبارها من مقدسات الأسرة، وفي ذلك تقول الأستاذة صالحة:[... وأن هنالك العديد من الأسر الدينية تمانع الاطلاع على المخطوطات التي بحوزتها باعتبار أنها حق شرعي من حقوقها، والاطلاع عليها يعتبر تعدياً على ذلك الحق][18].

ثالثاً: تملك أو حيازة المخطوط: باعتبار أن المخطوط ثروة شخصية للوارث، ويحرص على حيازتها، ومنع وصول يد الغير، فهنا يمكن التعامل معه بعدة وسائل على النحو التالي:

أ/ شراء المخطوطات: شراء المخطوط يحتاج إلى الإمكانات المادية الضخمة، ورصد الميزانيات الوافرة لها، لكي تقوم المؤسسات المعنية بالإغراء بالمال لمالكي المخطوطات والشراء منهم، وهذه الطريقة معمول بها عالمياً، وتعتبر تجربة [جمعة الماجد] من التجارب الفريدة في هذا الجانب، وفي المقابل تجد هنالك من يتعاملون بالسرقة من البياعة المحترفين، أو ربما بالرشا للعاملين البسطاء أيضاً. وهذه الطرق قد لا تصلح مع الغالب من أهل السودان، لأنهم مع فقرهم وحاجتهم للمال لا يخضعون للإغراء كثيراً، وتجد أن الشعب السوداني أقرب إلى قبول ثقافة الوقف، لأنّ غالب الأعمال الخيرية بصفة عامة، والمؤسسات الدينية بصفة خاصة قديماً كانت تمول بواسطة الوقف في السودان.

وأيضاً قد ابتكر القائمون على أمر دار الوثائق القومية ـ حسب إفادة أحد العاملين فيها ـ ما أسموه بنظام الإيداع أي إيداع المخطوطة كأمانة لدى الدار، وهو أن تكون المخطوطة مودعة لدى دار الوثائق القومية، وعندما يأتي شخص يطلب دراسة المخطوط يستأذن من المودع بواسطة إدارة دار الوثائق القومية .

ب/ تملك المخطوط بالمنح أوبالوقف: ممالا شك فيه أن الإنسان لم يحفظ المخطوط إلا حرصاً منه على استمرارية وجود المخطوط حياً بين يديه، ولكن إن اقتنع أن الغاية التي يرجوها لن تتحقق بحفظه الخطأ للمخطوط، وإنما بالحفظ الآمن الموجود في بيوت الخبرة، حيث إن الحفظ الخطأ قد يعمل على ضياع أصل المخطوطات؛ فسوف يشجع للتعاون مع المؤسسات الحافظة للمخطوطات؛ فبيوت الخبرة تعمل على الحفظ الجيد للمخطوط وخدمتها ـ بدءاً بتصويرها عبر آلة [المايكروفلم] مثلاً، ثم خطوة أخرى تقوم بتحقيقها ونشرها ـ مما يجعلها تساهم أيضاً مساهمة فاعلة ومغرية للملاك؛

(18) مرجع سبق ذكره ، أ.صالحة، ص73.



أي أن ما تقدمه من خدمات نحو المخطوط، والاهتمام به، سوف ينال ثقة الملاك؛ ليجدوا عندها موطناً آمناً لمخطوطاتهم، يطمئنون إليه، فيسلمونها مخطوطاتهم طوعاً واختياراً، لتتوفر الأمن والسلامة لها، واستفادة الناس منها، بإذن الله تعالى.

ومما يجدر ذكره هنا أن عدداً كبيراً من المخطوطات السودانية القيمة قد فقدت، وذلك أولاً نتيجة لعدم اهتمام أهل السودان بكتابة العلم واعتمادهم في الغالب على تلقى العلم المنقول مشافهة. ثم نتيجة لذلك عدم الحفظ الجيد للمخطوط، وقد أشار إلى ذلك الدكتور: معتصم في رسالته التي سبق ذكرها، تحت عنوان (التراث السوداني المفقود)؛ ذكر فيه نقلاً عن الشيخ ابراهيم النور[19]، يقول: { أشار الشيخ إبراهيم النور إلى بعض المخطوطات المفقودة؛ منها: رسالة للشيخ (الأمين الضرير)}.

ثم يقول:{... ويضيف أن الشيخ :(ود كنان) كان مختصاً في تدريس الرسالة، وشرحها شرحاً جيداً رآه مخطوطاً عند أحفاده، ثم يذكر مؤلفين للشيخ شريف محمد الأمين الهندي، ومؤلفاً آخر ذكر أنه مع كتاب الدنفاسي موجود بمكتبته، لم يعثر عليه أثناء جمع تراثه، وفي مخطوط عن مناقب الشيخ إبراهيم القلوباوي أن له كتاباً بعنوان "إرشاد الغاوي" وهو اختصار لطبقات الشعراني، "والسديد في اختصار الأسانيد" و" تنبيه الكسلان في معرفة الأركان" و"كتاب الوصية في الأدب" و" فضل العلم والتعلم وتلاوة القرآن"} ونسب أيضاً للشيخ أحمد الطيب شيخ الطريقة السّمانية، مؤلف: باسم "رسالة في الخلوة" ورسائل في علم الكيمياء والبروج" و "روضة المعاني" لحفيده عبد المحمود محمد نور الدائم ، و" رسالة في الخرقة" إلى أن يقول:{ ...ذكر [بوركهارت] أن العلوم الإسلامية ما عدا الفلك والرياضيات كانت تدرس في مدارس الشايقية}.

وبناءاً على ما ذكره يقول الدكتور معتصم:{ ... وفي هذا دلالة واضحة على ثراء تلك المنطقة من التراث الخطي تصنيفاً، أو شرحاً أو اختصاراً على مؤلفات علماء الأزهر والحجاز، وما يمكن افتراضه من إنتاج سوداني شرحاً وتلخيصاً}[20].

(19) الشيخ ابراهيم النور من مشايخ معهد أم در مان العلمي بالسودان.

(20) مرجع سبق ذكره، رسالة: معتصم الحاج عوض الكريم ص169.



وأقول: إنّ هذه كلها تعتبر شواهد على ضياع أعدادٍ لا يستهان بها من المخطوط السوداني. ويعتبر ضياع هذه المخطوطات السودانية، ضياعاً لجزءٍ كبير من جهود وأفكار وثقافة حقبة من الزمان في السودان؛ مما يستلزم عملاً جاداً من الدولة والمجتمع على حد سواء؛ لإنقاذ ماتبقى.

المبحث الثاني

حفظ المخطوط في السودان

وهذه هي المرحلة الثانية في طريق خدمة المخطوط، وربما المرحلة الأكثر أهمية في خدمة المخطوط، وفي نظر الدراسة تحتاج خدمة هذه المرحلة على خطوات عدة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: إنشاء مراكز وطنية مؤهلة لجمع وحفظ المخطوطات: المخطوط يعتبر عند كثير من الناس ثروة، بل وجزءاً من كيان الأسرة، وتقع المشكلة في امتناع تلك الأسر تسليم مخطوطاتها لتلك الجهات التي لا تثق بها كجهة حافظة لأغلى ما تملكه من تراث. ولذلك فإنّ كثيراً من الجارب التجارب في جمع وحفظ المخطوطات في مكان واحد قد باءت بالفشل، بل استحالت، والنموذج في السودان أن في عهد الرئيس جعفر محمد نميري أرادت الشؤون الدينية في السودان أن تقيم معرضاً للمخطوطات السودانية، فلم تستطع أخذها من عدد كبير من تلك الأسر، وذلك لعرضها فقط في معرض عام ـ مع أن المعرض كان لاحتفال رئاسي ـ وقد عثر في تلك الحملة على عدد كبير من المخطوطات عند الأسر، وتم جمعها، ولكن بتعهدات رسمية بإعادتها لتلك الأسر.

وقد حدثت أيضاً عدة محاولات من دار الوثائق السودانية لجمع وحفظ المخطوطات المملوكة لبعض الجهات الدينية، وبعض الأسر؛ مع اصطحاب حملة عارمة من التوعية والاستعطاف، فنجحت نسبياً في المرحلة الأولى، ثم توقفت عملية الجمع تماماً لامتناع تلك الجهات.

ومعلوم أنّ السودان لا توجد فيه دار كتب خاصة معنيٌ بحفظ المخطوطات بصفة اختصاصية، وإن وجدت بعض المؤسسات السودانية التي تعنى بجمع المؤلفات السودانية قديمة كانت أو حديثة، وذلك على النحو التالي:.



1/ دار الوثائق القومية السودانية وتعتبر الدار مستودع وخزانة أهل السودان لحفظ الوثائق والمخطوطات السودانية، ولكن لا يعنيهم خدمات المخطوط في مراحلها المختلفة، ولا يعنيها المخطوطات غير الوطنية، وربما السبب في ذلك خلفية النشأة، باعتبارها أنشئت لحفظ الوثائق الإدارية، والخرائط، ونحو ذلك.

2/ المكتبة الوطنية في السودان مع ما اعتراها من انقطاع عن تقديم خدماتها للجمهور، لعدم قيام المقر المناسب والدائم لها حتى الآن، وكانت هذه المكتبة تعنى بالمؤلفات السودانية جمعاً وحفظاً، وسواءاً كانت تلك المؤلفات قديمة أو حديثة.

3/ مكتبة السودان ـ جامعة الخرطوم، ولا تمتلك إلا مخطوطات البروفسير التجاني الماحي، مع ضخامة عددها،وهي مخطوطات غيرمتجانسة في تصنيفها،وكثيرمنها أجنبية ومكتوبة بغير العربية، وهذه المكتبة لم تخدم إلا من جانب العناية بالحفظ، ولم تتح للباحثين، ولم تفهرس حتى الآن.

هذا هو حال المخطوطات في أكبر المؤسسات المعنية والمتخصصة في السودان، والسودان نموذجٌ لإفريقيا، فإذاً هذا هو حال المخطوطات في إفريقيا بالغلبة. عليه ولكل ما سبق؛ ولما كان للمخطوطات من أهمية، ولما تتعرض له من المخاطر والمشاكل آنفة الذكر، ولما تحتاجه من خدمات ضرورية، وخشية ضياع عدد كبير منها، فإن الدراسة تقترح الآتي:

أولاً: إنشاء مركز وطني في كلّ بلد إفريقي، وبإمكانيات تمكنه من حفظ المخطوط بأعلى جودة، ليقوم بتقديم الخدمات المطلوبة للمخطوط، كالحفظ بالتصوير [المايكروفلم]، وتقديم الخدمات للباحثين، وتدريب الباحثين فيها والمحققين، وكذلك مرحلة الطبع الجيّد والنشر، وهذه المراكز لابد لها أن تتبع لجهات علمية معترف بها.

ثانياً: إنشاء مركز جامع لخدمة المخطوط في أفريقيا، يعتبر إنشاء مركز جامع للمخطوط في أفريقيا من الضرورات، وذلك لما يتعرّض له من ضياع للأسباب التي ذكرت، ولو استحال جمع المخطوطات بعينها فيمكن تكملتها بالمصورات؛ جمعاً من ملاكها أو من المكتبات الوطنية في كل بلد، ليقوم المركز الموحد بتغطية القصور الذي قد يظهر في أي مركز من المراكز الوطنية في أيّ بلد من البلدان.

ولكن لابد لقيام مثل هذه المراكز في إفريقيا من إرادة قوية وفاعلة من المؤسسات الدينية في تلك البلاد، والأمر لاشك أمر دين. ومعلوم أنّ المؤسسات الدينية في إفريقيا تحظى باحترام وتقدير كبيرين؛ وذلك عند غالب الناس فيها؛



عليه يمكن القول بأن هذه المؤسسات الدينية هي الجهة القادرة على استعطاف الناس إلى خدمة هذا المجال، فالناس في إفريقيا و السودان بصفة خاصة تجد طمأنينة في التعامل مع الجهة التي توسم برمزيتها الدينية، ومن هذا المنطلق، واستفادة لما هو متوفر وتعظيماً لفائدته، يمكن للدراسة أن تعتبر جامعة أم درمان الإسلامية في السودان من هذه النماذج التي

تصلح لذلك؛ وترى الدراسة أنّ هذه الجامعة ذات الصبغة الدينية، بالإضافة إلى سمعتها العلمية والمهنية؛ يمكنها أن تتولى هذه الخدمة في السودان، ويمكن أن يتمثل ذلك في مركزها الناشئ المتخصص في خدمة التراث، ذلكم هو (المركز العالمي لإحياء التراث الإسلامي). بل تعتبر الدراسة أن السودان باعتبارها جهة حظية بالثقة في إفريقياً في خدمة الدين، وكذلك لما لها من الثقة العلمية لما تقدمة لإفريقيا في مجال العلم، بمؤسساتها، وجامعاتها المتخصصة في خدمة التعليم في إفريقيا، ثم لموقعها الجغرافي الوسط، وكذلك تداخل قبائلها وتقاليدها وعاداتها المتقاربة؛ وكذلك بمؤسساتها الدينية المشتركة بين كثير من تلك الدول، فإن أن السودان جدير بأن يقام فيه هذا المركز الإقليمي، ليقوم بدور الخازن الأمين لمخطوطات أفريقيا. وليكن ما بُدئ في المركز العالمي لإحياء التراث الإسلامي التابع لجامعة أم درمان الإسلامية آنف الذكر نواةً، بل وريادةً لهذا العمل الجليل إن شاء الله.

ثانياً: تأهيل وتدريب العاملين في مجال حفظ المخطوطات: أي توفير الكوادر المؤهلة لعملية الحفظ، وتدريبهم، ورفع قدراتهم العلمية؛ وذلك بإقامة الدورات المتخصصة، والورش العلمية، وحضور المؤتمرات المتخصصة في هذا المجال.

وهذه المسألة مما لا يصعب أمرها اليوم؛ في زمان التقدم التكنولوجي المستمر والمتجدد، وتوفر جهات التدريب؛ ولكن مع توفرها تحتاج إلى جهات ترعى هذه المسألة، وتوفر لها الدعم المادي اللازم. ويمكن في هذا المجال أن يكون لمكتبة الإسكندرية، ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية دور في إقامة الدورات بنظام الشراكات مع المراكز القائمة في بعضٍ من تلك البلدان، وكذلك يمكن بعث الكوادر العاملة، والمهتمّة بهذا المجال إلى هذا المعهد، وكذلك يمكن أن تقوم المراكز الأخرى بدورٍ مساعدٍ في ذلك، وعلى سبيل المثال مركز جمعة الماجد، وكذلك – المركز العالمي لإحياء التراث الإسلامي في جامعة أم درمان الإسلامية بالخرطوم.

ثالثاً: توفير الإمكانيات المادية ـ مال تسيير، وأدوات ـ لتأهيل مراكز الحفظ: وذلك لتوفير أدوات الحفظ، للاستمرار في التأهيل، ثم المواكبة التقنية المتجددة للاستفادة من تلك التقانات لتطوير أدوات الحفظ،



وهنالك أيضاً عوامل أخرى ضرورية في عملية الحفظ، وهي تحتاج إلى المال أيضاُ، وهي العمليات التقليدية الروتينية، كالنظافة المستمرة، والتعقيم اللازم، ووضعها في الأجواء المناسبة؛ وعدم تعرضها للأجواء المضرة بها، كالحر الشديد، والبرد القارس، والرطوبة الزائدة، وكذلك الاهتمام بالتأمين اللازم من العوامل الطبيعية التي تضر بها؛ مثل أشعة الشمس، والأمطار، والفيضانات، والرياح، والحرائق، وغيرها؛ مما يضر بها. وكذلك الحفظ من التلف بسبب الحشرات؛ بالتعقيم المستمر ضد الحشرات، وكذلك التأمين من السرقات، وسائر أنواع التخريب، ثم بحفظها مصورةً على نظام [المايكروفلم] لضمان بقاء مادة المخطوط العلمية، ولمنع أو تقليل لمس الأصل. وكذلك ضرورة القيام بالترميمات اللازمة للمخطوطات، ونحو ذلك من الخدمات اللازمة للمخطوط.

وهذا الجانب مكلف جداً ويحتاج إلى مال كثير، ولا يكفي ما توضع له من ميزانيات، خاصّةً في تلك الدول الفقيرة كالسودان ونحوها، ويحتاج ذلك إلى الدعم من الدول التي تهتم بمثل هذه المجالات، وكذلك المنظمات ذات الصلة، لما في ذلك من خدمة للإنسانية جمعاء، ومحلياً أيضاً يحتاج إلى دعم الجهات الخيرية الوطنية، وكذلك تخصيص الأوقاف كما سبق القول في ذلك.

ومما يجدر ذكره هنا أيضاً أن المخطوطات الإفريقية ليست وحدها الموجودة في إفريقيا، كما هو الحال في السودان، فقد لوحظ أن عدداً من المخطوطات الإسلامية غير السودانية، قد دخلت السودان بواسطة علماء سودانيين ممن لهم باع في العلم، اقتنوها في غربتهم، كما ظهر ذلك في دراسة الباحثة [القسيمة حمد بلال حمد][21] عن مجموعة [محمد نور الحسن] المودعة في المكتبة المركزية لجامعة أم درمان الإسلامية، التي ورثتها من مكتبة معهد أم درمان العلمي، التي أهديت إليها هذه المجموعة، ومجموعة أخرى دخلت عن طريق طلاب العلم في جامعة إفريقيا (خاصة الفولانيين) وذلك حسب إفادة د.عبد القيوم رئيس قسم المكتبات والمعلومات بجامعة إفريقيا العالمية، ومدير المكتبة فيها سابقاً. وكذلك من بعض العرب، فقد عثرت الدراسة على صندوق مذهب فاخر ولكنه قديم ومهمل جداً؛ فيه مخطوطتان مهداتان من طالب يمني، لمكتبة جامعة أم درمان الإسلامية وذلك حسب إفادة أحد العاملين بالمكتبة. ولذلك أقول إن الإهمال في حفظ المخطوطات في أي بلد؛ لا يعتبر إهمالاً لمخطوط هذا البلد فحسب، بل إن ضياعها يعتبر ضياع جزء من مخطوطات وتراث البشرية كلها أيضاً.

(21) القسيمة حمد بلال حمد، رسالة ماجستير، بعنوان:(المخطوطات العربية ومعالجاتها الفنية).



المبحث الثالث

تحقيق المخطوط في السودان

لاشك أنه ما دام هنالك مشكلات في المرحلتين المتقدمتين(الجمع، والحفظ) في طريق خدمة المخطوط فلابد أن تكون هذه المرحلة الأخيرة متأثرة بمشكلات المراحل المتقدمة في خدمة المخطوط، وذلك مما يؤثر سلباً على خدمة المخطوط بصفة عامة، ويقع أثر ذلك علي مرحلة التحقيق بصفة خاصة.

ثم من مشكلات التحقيق في السودان عدم اهتمام المؤسسات العلمية المعنية بهذا المجال، وكذلك من مشكلات التحقيق عدم دراسة علم التحقيق في تلك المؤسسات، مع اعتبار علم التحقيق علماً من العلوم المهمة. ومن جراء ذلك يعتبر التحقيق في السودان قليلاً ونادراً جداً، إلا ما يقوم به بعض الأشخاص بجهدهم الخاص، أو ما يقوم به بعض طلبة الدراسات العليا في المؤسسات العلمية، مع أنّ غالب هذه الدراسات لم تكن في مستوى التحقيق. وفي رأيي أن ذلك إنما يعتبر تدريباً على التحقيق، وليس تحقيقاً دقيقاً.

وحتى يكون علم التحقيق ثقافة منشورة بين الناس، يحتاج إلى الآتي:

أ/ إبراز أهمية تحقيق المخطوطات ونشر ثقافته:

لقد لاقت مسألة التحقيق في السودان إهمالاً وتركاً؛ حتى غاب علم التحقيق من ثقافة الناس؛ مما أثر سلباً على وجود عملية التحقيق، ولذلك تجد ندرة في ممارسة التحقيق عند العالمين به، وتأتي هذه المشكلة من سببين هما:

1/ عدم الاهتمام بعملية التحقيق، وذلك لعدم الاهتمام من المؤسسات الرسمية، والعلمية المعنية بهذا العلم، وعدم وضعه في مصاف البحوث العلمية المهمة، بل وعدم قدرة المعنيين والمهتمين على إيصال صوتهم للمسؤولين في الدولة لتتوجه رعاية واهتمام الدولة؛ بنشر ثقافة التحقيق، وتشجيع العاملين في هذا العمل المهم، وكذلك لرفع قيمة الميزانيات المدفوعة من الدولة لخدمة مراحل ما قبل التحقيق؛ من جمع، وحفظ، وفهرسة للمخطوط، وكذلك توفير الخدمات اللازمة لعمليات التحقيق.



2/ عدم الاهتمام بدراسة علم التحقيق، هذا الخطوة؛ بالطبع متأثرة بالسبب الأول، أي سبب عدم الاهتمام بعملية التحقيق في حد ذاته، وعدم نشر ثقافة التحقيق. وكذلك عدم وضعها ضمن المقررات الدراسية في المرحلة الجامعية، مما أثر سلباً على أداء طلبة الدراسات العليا في بحوثهم المتعلّقة بتحقيق المخطوطات؛ فلا يجيدون كيفية التعامل مع المخطوط لا في مرحلة المقابلة بين النسخ؛ ولا في مرحلة قراءة النص، فقد تحولت تحقيقاتهم إلى تشويه للمخطوط، وليس تحقيقاً له على الصحيح. وكذلك مما يجدر ذكره هنا أن عدم الدراية الكافية من المشرفين؛ الذين زاغ عنهم ضبط مسألة التحقيق، واختلط عند الكثيرين منهم مقصود تحقيق المخطوط، ومقصود الدراسة حول المخطوط.

والدراسة ترى أنّ هذه المشكلات يمكن معالجتها بالتثقيف المكثف بأهمية التحقيق، ونشر علمه بين الناس، وكذلك توضيح الآثار السلبية التي تأتي من عدم التحقيق للمخطوط، ونشره من غير تحقيق.

وهنا أقول أنّه يمكن أن يتم التثقيف بأهمية التحقيق بالآتي :

1/ إدخال علم التحقيق في المقررات الدراسية.

2/عقد الدورات التدريبية المتخصصة.

3/ عمل الندوات العلمية المتخصصة.

4/ قيام ورش عمل علمية، يمكن من خلالها طرح مشكلة التحقيق، ومناقشتها، والوصول إلى حلولها.

5/ إقامة المؤتمرات، واللقاءات الدورية لذوي الاختصاص، للوصول إلى فهم صحيح لعلم التحقيق.

ب/ تسهيل مهمة الباحثين والعاملين في تحقيق المخطوطات: ويتطلب ذلك الآتي:

1/ إنشاء مراكز بحثية متخصصة في تعليم ونشر ثقافة خدمة المخطوط.

1/ توفير المخطوط للباحثين، ولو بالمصورات كحد أدنى.

2/ فهرست المخطوطات؛ خدمة للباحثين، وتسهيلا لعملية التحقيق، ونشر ثقافته.



ج/ربط الحصول على الدرجات العلمية المرتبطة بتحقيق المخطوطات بضرورة دراسة علم التحقيق أولاً: ذلك لأنها لاتوجد أي شروط أو ضوابط لمنح الدرجات العلمية في تحقيق المخطوطات، وقد أصبح كل من يريد أن يحصل بسهولة على الدرجة العلمية يتشبث بهذا الطريق، بلا معرفة علمية، ولا قدرة على التحقيق، فكان لابد من ضرورة إدخال شروط في منح تلك الدرجات العلمية، وأهم تلك الشروط أن لا يسمح بتحقيق مخطوط إلا بعد الحصول على قسط كبير من الدراسة العميقة والوافية لعلم التحقيق؛ ذلك لما لحق هذا العمل من الإهمال وعدم الإتقان؛ مما أظهر ضعفاً مميتاً في هذا المجال.

ولكن مع ذلك؛ كان للتحقيق وجود في السودان، فقد ظهر في الحقبة الزمنية السابقة عدد من المحققين السودانيين على قلة ماحققوه، وعلى رأس هؤلاء رجل ارتبط اسمه مع اسم دار الوثائق والمخطوطات السودانية؛ ألا وهو: [البروفسير: محمد أبوسليم] رحمه الله تعالى. ويعتبر من المؤسسين للدار، وله دور كبير في تطويره، وهو أمينها العام السابق، وله واجتهادات في مجال خدمة المخطوط، والتحقيق، وقد قام بتحقيق منشورات الإمام المهدي[22].

وكذلك البروفسير [يوسف فضل][23] ، وقد حقق أكثر الكتب السودانية شهرة عند العامة، وهو كتاب: [طبقات ود ضيف الله].

وكذلك من أشهر المحققين أيضاً: الدكتور مكي شبيكة[24]، وقد حقق مخطوط [كاتب الشونة] المشهور بين أهل العلم في السودان، ويعتبر كل ما قدم من باب الجهود الشخصية.

(22) الإمام محمد أحمد المهدي،زعيم ديني، ومجاهد، ظهر في السودان في نهايات القرن الثامن عشر الميلادي، وقد قاد تحرير السودان من الإستعمار الإنجليزي.

(23) البروفسير يوسف فضل. مدير سابق بجامعة الخرطوم.

(24) مكي شبيكة استاذ جامعي بجامعة الخرطوم، مشهور في السودان بخدمة تاريخ السودان.



وأيضاً هناك عدد مقدر من المحققين المتأخرين موجودون الآن في الساحة، وأكثره هؤلاء المحققين من خريجي الجامعات البريطانية، وكذلك يوجد من له دراية بعلم التحقيق من خريجي جامعة الإمام بالسعودية؛ ولكن لذات المشكلات التي ذكرناها في مرحلتي (الجمع والحفظ) وما يزاد عليها من مشكلات مرحلة التحقيق، ومن شح الإمكانيات، وعدم ثقافة

العامة بضرورة التحقيق، وعدم اهتمام المؤسسات العلمية؛ بل والرسمية أيضاً بعملية التحقيق؛ أصبح التحقيق أمراً غير ميسور، بل ومرغوب عنه. نسأل الله أن يزيل عنا كل المشكلات العامة منها والخاصة، ونفعنا الله بما جمعنا، ونفعكم بما تراجعون، والله ولي ذلك، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة:

بحمد الله وتوفيقه، تختتم هذه الدراسة بما وصلت إليه من نتائج، وتوصيات، وذلك على النحو التالي:

أولاً: النتائج: أجملها في النقاط التالية:

1/ إفريقيا والسودان نموذجاً لها يوجد بها مخطوطات غير محصورة، مع ما يلاقيها من إهمال.

2/ تتكرس مشكلات خدمة المخطوط في أفريقيا، والسودان نموذجاً لها، في الثلاثة (الجمع، والحفظ، والتحقيق) مضافاً إليها انعدام الفهارس.

3/ ضعف ثقافة المجتمع الإفريقي، (والسودان نموذجا لها) بأهمية تحقيق المخطوط، وما يترتب على ذلك من سلبيات.

4/ ضعف ميزانيات المؤسسات الرسمية المعنية بالمخطوطات، وعدم التدريب الكافي للعاملين في مجال خدمة المخطوط.

5/ عدم قيام المنظمات الدولية المتخصصة في مجال الثقافة والعلوم بالدور المناط بها، وقلة ما يقدمه في خدمة المخطوط.

6/ لاتوجد إجمالاً قواعد علميّة متبعة في دراسة علم المخطوطات، ولا على منح الدرجات العلمية المبنية على تحقيق المخطوطات.

7/ انتشار الطبعات التجارية للمخطوطات دون تحقيق علمي رصين، رغبة في الكسب السريع، والشهرة الرخيصة.



ثانياً: التوصيات: بناءاً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، توصي الدراسة بالآتي:

1/ ضرورة قيام مراكز وطنية في كل دولة، ومركز إقليمي جامع لجمع وخدمة المخطوط الإسلامي في إفريقيا، مع تصميم قاعدة بيانات مشتركة لفهرسة المخطوطات.

2/ ضرورة قيام مؤسسات الدولة الرسمية بتبني ميزانيات كافية للمؤسسات المعنية، وكذلك المنظمات الدولية المتخصصة، بالمساهمة المادية المباشرة، أو تبني المنح التدريبية للعاملين في هذا المجال، وكذلك أيضاً تبنى المجتمع خدمة المخطوط بنظام الأوقاف المشروطة، والمخصصة لخدمة المخطوط وعلم التحقيق.

3/ تشجيع الباحثين والمحققين من ذوي الكفاية العلمية في علم التحقيق، بالتحفيز المادي المباشر، وكذلك بتسهيل مهامهم البحثية؛ للقيام بدورهم في خدمة المخطوط.

4/ إدخال مادة [علم المخطوطات، وتحقيق النصوص] ضمن المقررات الدراسية الجامعية.

5/اشتراط المؤسسات العلمية في حصول الباحث على الدرجة العلمية ـ بنظام تحقيق المخطوطات ـ دراسة [دبلوم، أوسنة تمهيدية] في علم التحقيق؛ باعتبارها جزءاً من متطلّبات منح الدرجة العلمية.

6/ سن قانون يمنع طبع ونشر أي مخطوط للتداول العام، إلا بعد التحقيق المحكّم من جهة علمية معترف بها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

[1]/ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ د أحمد مختار عبد الحميد عمر.

[2] / المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار).

[3] /محاضرة (مطبوعات معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة) غير منشورة. د. عبد الستار الحلوجي.

[4] / محاضرات ـ معهد المخطوطات العربية ـ القاهرة. د. فيصل الحفيان ،



[5] / محاضرة بعنوان: التحقيق العلمي قضاياه ومشكلاته (مطبوعة للدارسين في دورة تدريبية) غير منشورة ـ د. فيصل الحفيان.

[6] / رسالة دكتوراة في علم المكتبات والمعلومات، جامعة أم درمان الإسلامية ـ كلية الدراسات العليا، بعنوان: (وثائق الغبش بولاية نهر النيل بالسودان) ـ د. معتصم الحاج عوض الكريم.

[7] / رسالة ماجستير في علم المكتبات والمعلومات من معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان الإسلامية ـ بعنوان: (الكتاب العربي المخطوط بالتركيز على واقع خدمات المخطوطات في السودان) ، أ. صالحة محمد محمد علي.

[8] / رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، بعنوان:(المخطوطات العربية ومعالجاتها الفنية) ـ القسيمة حمد بلال حمد.

